

مدارس التحليل اللغوي في العصر الحديث: المدرسة البنيوية نموذجا

Schools of linguistic analysis in the modern era 'the structuralist school as a model

سمية بن اسعيدى^{*1}

¹ جامعة -الأغواط، (الجزائر)، s.benseidi@lagh-univ.dz

تاريخ النشر: 2021/12/30

تاريخ المراجعة: 2021/09/22

تاريخ الإيداع: 2020/11/02

ملخص:

تعددت جهود الغربيين وتنوعت دراستهم في مجال البحث اللغوي ؛ غير أن دي سوسير يعد رائد علم اللغة الحديث وذلك لما قدمه من مبادئ وأفكار ساعدت على تحديد مجرى لسانيات القرن العشرين والابتعاد بها كليا عن مناهج اللسانيات التاريخية، ومن هذا المنطلق تطرح الاشكالية العلمية الآتية: ما هي أهم الإرهاصات والتنظيرات التي قام بها دي سوسير في الدرس اللساني البنيوي؟ وماهي أهم المبادئ والتفريعات الثنائية التي قدمها ؟

الكلمات المفتاحية: اللسانيات ؛ دي سوسير ، التفريعات الثنائية .

Abstract:

The Westerners' efforts multiplied and their studies varied in the field of linguistic research. General information about a recent study, due to the principles it presented and its departure from the historical linguistics curricula? What are the instructions and regulations that de Saussure carried out in the linguistic lesson? What are the most important principles and bilateral ramifications that he presented?

Keywords: linguistic ، de Saussure ، bilateral ramifications ، Structuralism.

* المؤلف المراسل.

مقدمة :

عرفت الدراسات اللسانية تطوراً ملحوظاً في أواخر القرن التاسع عشر، حيث تمّ تجاوز المناهج التقليدية إلى اعتماد المنهج الوصفي البنيوي الذي بدأ مع ظهور بحوث "دي سوسير" الذي أحدث طفرة في الدراسات اللسانية، ومن هنا تبرز مبادئ علم اللسان الحديث في صورة مفاهيم و نظريات متشعبة ومتداخلة، منها ما يتشابه ومنها ما يختلف ومنها ما يقوم بعضه على نقيض بعض آخر، فالمدرسة البنيوية مثلاً تسعى لدراسة المنجز في صورته الآنية بغض النظر عن السياق الذي أنتج فيه فالنظرة البنيوية للغة هي نظرة تجريدية صورية عامة ، أما التوليدية التحويلية فنجدها قد سعت إلى وضع نظرية تعمم اللغة من سكونها وتمنحها طابعاً الإبداعي الخلاق ثم ظهرت بعد ذلك التداولية كمنهج سياقي موضوعه بيان فاعلية اللغة المتعلقة بالاستعمال من حيث الوقوف على الأغراض والمقاصد ومراعاة الأحوال وبهذا نجد أنه قد تعددت المناهج والمدارس الغربية واختلفت في تناولها لظاهرة اللغوية وأن كل مدرسة تستدرك المعطيات الناقصة فتكملها وفي هذه الورقة سنقتصر أهم الانجازات التي قدمتها المدرسة البنيوية من حيث أهم الأسس والمنطلقات التي بنيت عليها قراءة وتحليل.

أولاً: مدارس التحليل اللغوي

اهتمت اللسانيات المعاصرة بوصف نظام اللغة ، انطلاقاً من اللغة من حيث إنها بنية شكلية وقواعد وظيفية ومن خلال هذا سنتطرق لأهم المدارس اللسانية وأهم الطرق التي تتبعها في التحليل :

1.1 المدرسة البنيوية :

تعد الأبحاث التي قدمها دي سوسير (Saussure) من أهم الدراسات اللسانية البنيوية إذ أنه كان أول من دعا إلى دراسة اللغة في ذاتها دراسة وصفية تبحث في نظامها وقوانينها دون الاهتمام بجوانبها التاريخية التطورية فالهدف الأساس للنظرية اللسانية هو دراسة موضوع اللسانيات في ذاتها ولذاتها أي دراستها دراسة وصفية آنية ، والذي ينبغي أن نؤكد عليه أن المفاهيم الثنائية التي أتى بها دي سوسير (Saussure) تعد ذا أهمية بالغة في الدرس اللساني الحديث لأنها تمثل مبادئ رائدة في علم اللسان الحديث، وهي كالآتي¹:

أ. اللسان والكلام

فرق دي سوسير (Saussure) بين ثلاث مصطلحات أساسية في الدرس اللساني هي اللغة واللسان والكلام فاللغة هي ظاهرة إنسانية لها أشكال كثيرة تنتج من الملكة اللغوية أي أن اللغة عبارة عن قواعد نحوية وقوانين اجتماعية مستقرة بشكل تواضعي في أدمغة الناطقين باللسان الواحد، أما اللسان فهو جزء معين متحقق من اللغة وهو اجتماعي وعرفي ومكتسب ، ويشكل نظاماً متعارفاً عليه داخل جماعة لسانية محددة ومثال ذلك (اللسان العربي). (اللسان الفرنسي) والكلام هو شيء فردي ينتهي إلى اللسان أي أنه الانجاز الفردي الفعلي لقواعد اللغة.

ب. الدال والمدلول

اللغة نظام من الأدلة المتواضع عليها وليست مفردات تقابل الأشياء فالعلامة اللغوية لها وجهان لا ينفصل أحدهما عن الآخر فالعلامة اللسانية في تصور دي سوسير (Saussure) هي وحدة النسق، فهي العنصر اللساني الذي يتكون من صورة سمعية ومفهوم، أي الفكرة التي تقترن بالصورة السمعية مثلاً كلمة (رجل) هذه علامة لسانية مكونة من صورة سمعية وهو الإدراك النفسي لتتابع الأصوات (ر.ج.ل) والمفهوم هو مجموع السمات الدلالية (حي، ناطق، إنسان، عاقل) إذن الدال هو الصورة السمعية والمدلول هو التصور الذهني، وباقتران الصورتين الصوتية والذهنية يتم الفهم.

وقد أكد على أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية غير معللة.

ج. التاريخية والآنية

اللسان في نظر دي سوسير (Saussure) واقع قائم بذاته من جهة وتطور تاريخي من جهة أخرى ومن خلال هذا نجده يفرق بين منهجين المنهج الأول هو المنهج التاريخي الذي يهتم بالتحويلات التي تطرأ على اللغة عبر الحقب الزمنية المختلفة، أما المنهج الوصفي فهو يتناول الظاهرة اللغوية كما هي عليه في الواقع اللغوي.

إذن نجد أن الدراسة التزامنية تركز على الواقع الراهن للغة ذلك الواقع الذي يمكننا من النظر إلى نظامها من حيث هو وحدات متزامنة يرتبط بعضها بعضاً على مستوى المحور الأفقي وهذا الارتباط لا يمكن ملاحظته عبر المنهج الزمني لأنه لا يهيمه سوى النظر إلى تاريخ اللغة.

2.1 مبادئ التحليل البنيوي (دراسة في المجال الإجرائي)

أ. المستوى الصوتي

إن أهم ما يميز الدرس الصوتي الحديث منذ مطلع القرن العشرين هو تأسيسه في ظل المفاهيم الجديدة التي جاءت بها لسانيات دي سوسير (Saussure) ومن ذاك مفهوم النظام والتقابل والاختلاف وغيرها من المبادئ المتصلة بالمنهج السويسري الذي يقوم على دراسة اللغة دراسة وصفية أنية؛ غير أن سوسير (Saussure) لا يدرس الأصوات من حيث هي كيانات مادية، لأنه يعتبرها خارج حدود اللسانيات حيث يقول: "ليست الفونولوجيا سوى نشاط إضافي يعلم اللغة ولا يرتبط بغير الكلام" ولكنه أشار إلى الجانب الوظيفي وإلى أهميته فيما يحققه من قيم دلالية داخل إطار التقابلات الصوتية، فهو يقول: "فما يهيم في الكلمة ليس هو الصوت ذاته بل الفوارق الصوتية التي تساعد على تمييزها عن جميع الكلمات الأخرى، إذ هذه الفوارق هي التي تحمل دلالة"²

ويتجلى المفهوم الصوري للغة من خلال ما يظهره مبدأ الاختلافات من فوارق بين الوحدات اللسانية في نظام لغة ما، ويعد المستوى الصوتي من أبرز المستويات اللغوية الكاشفة عن المفهوم الصوري وعن عمله في نظام اللغة.

ويرتكز عمل المبدأ الصوري في البنية الصوتية للغة على مبدأين اثنين³:

أ.1. مبدأ التقابل

يتجلى هذا المبدأ من خلال العلاقات الاستبدالية ويبرز دوره في أنه يظهر خصائص النظام الفونولوجي للغة ما ضمن ما يتحدد به كل فونيم من سمات تمييزية، ويعد دي سوسير (Saussure) أول من تنبه إلى مبدأ التقابل ودوره في عمل الألسنة البشرية، فالتحليل الصوتي يجري على مستوى الحروف من خلال العلاقات الاستبدالية الممكنة بين الفونيمات وذلك من تحديد الصفات التي تميز فونيماً عما يقابله من الفونيمات في اللسان الواحد، ويتحدد الهدف من هذا العمل في بيان السمات التمييزية للفونيمات، وذلك لأنها تسمح بتحقيق غرض التواصل، ومثال ذلك أنه لو قابلنا بين الوحدات "سار" "زار" و"صار" فسنجد أن الفارق الوظيفي يظهر في أول فونيم من كل كلمة "س" "ز" "ص" وبإجراء التقابل بين هذه الفونيمات التي تشترك في مخرج واحد ويتبين لنا أن الفارق الوظيفي يكمن في:

ص يحتوى على سمة الإطباق ويقابل الانفتاح في "س" و "ز".

"ز" يحتوى على سمة الجهر ويقابل الهمس في "ص" و "س".
 "س" تحتوى على سمة الهمس وتقابل الجهر في "ز" وسمة الانفتاح تقابل الإطباق في "ص"، وبهذه التقابلات نحصل على النظام الفونولوجي العربي للحروف الصغرية.

2.أ. مبدأ التباين

يظهر هذا المبدأ من خلال العلاقات التركيبية ويبرز عمله من خلال أنه يحقق بين الفونيمات صفة الخطية تلك الصفة التي تقوم على الترتيب، أي أن البنية الصوتية تمثل سلسلة من الأصوات المرتبة والمتعاقبة زمنياً، وهذه الصفة تلغى إمكانية نطق وحدتين في آن واحد ومثال ذلك الفعل: كَتَبَ. هو عبارة عن سلسلة من الأصوات المتعاقبة والمرتبة [ك، ت، ب، ـ] بخلاف الفعل كَبَتَ الذي يختلف معه في الترتيب وإن كانا يحويان نفس الحروف والحركات.

ب. المستوى الصرفي والنحوي:

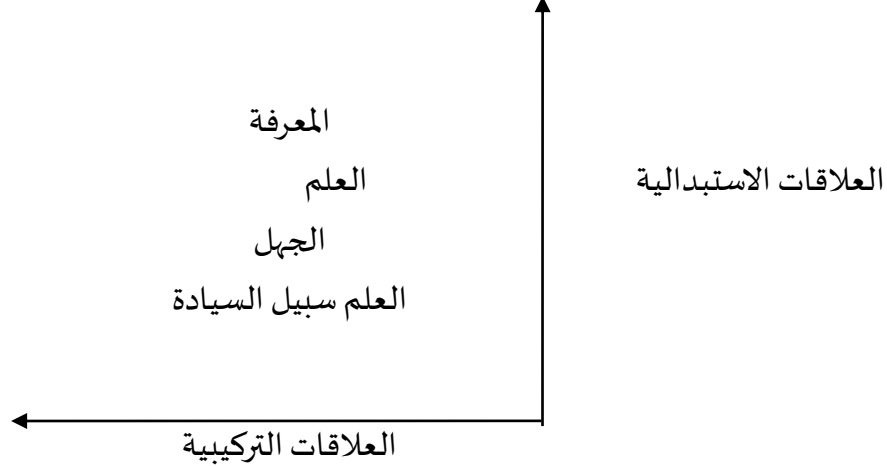
أبدت البنيوية اهتماماً كبيراً بالمستويين الصرفي والنحوي التركيبي لأن هذه المستويات تعتبر الأساس أو المبدأ الذي قامت عليه فالبنية مجموعة منسجمة من العناصر والوحدات وهذه الوحدات تتركب بعضها على بعض بكيفية معينة تؤدي المعنى في الخطاب بكيفية خاصة أي أنها نظام متناسق الأجزاء⁴
 فداخل هذا البناء يمكن الحديث عن هذين المستويين من ثنائية المحور الاستبدالي والتوزيعي التي تحدث عنها سوسير (Saussure) في كتابه محاضرات في الألسنية العامة حيث ميز بين محورين أساسيين، فالمحور الاستبدالي يتضمن تلك العلاقات التي تحقق وظيفتها ضمن إدراك الترابط الذهني الحاصل بين العلامة اللغوية والعلامات التي يمكن أن تحل محلها والتي تتسم معه خارج الخطاب بشيء مشترك وتترابط معه في الذاكرة مشكلة مجموعات تسودها علاقات مختلفة أما فيها يخص العلاقات التركيبية فهي تلك العلاقات التي ينظر إليها سوسير (Saussure) من حيث أنها مبنية على صفة الخطية تلك الصفة التي لا تقبل إمكانية نطق عنصرين في آن واحد وهذان العنصران يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية، فالكلمات تكتسب قيمتها من خلال السياق الذي ترد فيه⁵، "فعندما تدخل الكلمة في تركيب ما فإنها تكتسب قيمتها من مقابلتها لما يسبقها أو يلحقها من كلمات"⁶

من خلال هذا نستنتج أن النظام اللساني يتحدد من خلال مجموعات من الوحدات التي تتحد كل منها في ضوء العلاقات التي تتبادلها مع بقية الوحدات ومع مجموع النظام فالعلامة تكسب قيمتها داخل التركيب وفي إطار تقابلها مع الوحدات الأخرى.

وقد أكد دي سوسير (Saussure) على ضرورة على تصور اللسان على أنه نظام من العناصر المترابطة على المستويات الدلالية والنحوية والصوتية حيث يبدأ بالمسائل الصوتية ثم اتبعها بمسائل الصرف ثم النحو ومسائله، موظفا الأصوات في خدمة الصرف "فالفكر البنيوي يرى اللغة بنية منظمة متكاملة فيعني بتصنيف الكلمات وصلاتها الاشتقاقية وصورها الإضافية من حيث الفصل والوصل مع إبراز الطابع العضوي لأنماط اللغة وما يترتب على ذلك من فكرة المعاقبة في الموقع ثم الربط بين الصورة والوظيفة التي تؤديها الصورة في النظام"⁷

وفي هذا السياق تبرز وظيفة المحورين الاستبدالي والتركيبى باعتبارهما يمثلان الجانب الإجرائي الذي يعمل فيه النظام ويتحكم عن طريقه في حركية العلامات ويجسد لنا آلية الاختلاف والتقابل فيما بينها وسنوضح في المثال الآتي أهم الإجراءات التي تقوم عليها العلاقات الاستبدالية والتركيبية⁸

الشكل رقم (01): يوضح الجانب الإجرائي لمختلف العلاقات الاستبدالية والتركيبية



المصدر: ينظر، طيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2001م، ص 90.

فكلمة العلم هنا تتقابل مع كلمات أخرى مثل التعلم والمعرفة.... الخ في سياق الترادف، وتتقابل في سياق التضاد مع كلمات مثل: الجهل، الحق، الغباء. ومع كلمة الحلم مثلا في سياق التجانس وهكذا، فإن كلمة العلم تستمد قيمتها الدلالية من خلال المقابلة بين هذه الكلمة والكلمات الأخرى التي تشبهها وتختلف معها في

الوقت ذاته ، ولا يقتصر الاستبدال على مستوى الكلمات فحسب بل إن الحروف تحض بنفس الإجراء ومثال ذلك الحرف (س) في كلمة السلم و(ح) في كلمة الحلم من علاقات استبدالية مع الحرف (ع) في كلمة علم . كما أن العلاقات التركيبية تظهر من خلال العلاقة بين كل حرف وحرف كما بين (ع) و(ل) في العلم وبين كل كلمة وكلمة علاقة تركيبية ، وقد وضع سوسير (Saussure) هذه العلاقة التركيبية من خلال المثال: أن الوحدة *désireux* (راغب) تنقسم إلى وحدتين فرعيتين (*désir_eux*) غير أنهما ليستا جزءين مستقلين بل يضاف أحدهما إلى الآخر أي أن قيمة هذين العنصرين ليست إلا في تعاضدهما التركيبي. ومثال ذلك في العربية أن الفعل في الجملة الفعلية لا قيمة له من دون بقية الوحدات الجملة أي أنه لا يحقق وظيفته الدلالية التواصلية إلا من خلال ما تؤديه وظيفته النحوية (التركيبية) أي صلة الفاعل إذا كان لازماً وبالمفعول إذا كان متعدداً⁹ وإذا كانت البنية وتحليلها هي هدف علم اللغة البنيوي فقد كانت محل اهتمام النحاة وعلماء اللغة في التراث العربي وذلك لأن كتاب سيبويه يشتمل على عناصر بنيوية كما أن نحاة العربية الأوائل أمثال الخليل وسيبويه قد ميزوا بين مستويين من مستويات الدراسة النحوية وهي كالتالي¹⁰:

– المستوى الثاني:

يتمثل في علاقة المعنى بالمبنى وتمثلها العلاقات التركيبية المختلفة بين الكلمات داخل الجملة. إذن نجد أنهم اهتموا بثنائية المبنى والمعنى، فالمعنى عندهم يبدأ من أصغر الوحدات المتمثلة في الأصوات والحروف في حين أن الجملة تمثل عندهم أكبر الوحدات بناءً فمفهوم ثنائية التركيب يعد من أهم خصائص البنيوية وكذلك تفتن النحاة في أبحاثهم إلى فكرة التضام والتركيب التي تتجلى بوضوح مع نهاية القرن الرابع الهجري مع ابن جني والجرجاني. من خلال هذا نجد أن فكرة الضمائم لم تغب عن الفكر اللغوي العربي وهذه الفكرة تعتمد على تحديد المكونات الكبرى للجملة من خلال الاعتماد على علاقات خاصة بين كلمة وأخرى داخل إطار الجملة فقد بنو تحليلاتهم للجملة في ضوء تحديد نوع العلاقة بين الكلمات الضمائية، ومن ذلك نجد ما يعرف عندهم بعلاقة الإضافة أو علاقة وصل أو علاقات تبعية وغيرها من العلاقات بين الوحدات داخل السياق الكلامي .

الخاتمة :

من خلال هذا نجد أن مهمة اللسانيات عند دي سوسير تمثل لديه التوجهات الكبرى في منهجه اللساني الجديد، والأرضية التي تنطلق منها مفاهيمه ونظرياته وبالتالي فإن معرفة هذه المهمة تعطي لنا خلفية تصويرية هامة لهذه المفاهيم ضمن أبعادها المنهجية وآفاقها الإستعمولوجية وكذلك نجد أن أهم ما جعل اللسانيات في القرن التاسع عشر علماً حديثاً هو إخضاع تلك الظواهر لمناهج البحث العلمي خلافاً لما كان عليه الحال من

قبل إذ كانت العلوم اللغة تتصف بالذاتية والتخمين والتأمل العقلي البعيد عن الموضوعية والدراسة العلمية للغة ، ومن أهم النتائج الآتي :

(1) تعد أفكار دي سوسير منطلقاً لكل المدارس اللسانية الحديثة، بحيث تعد أفكاره المحاولة الأولى التي تصاغ فيها المفاهيم صياغة منهجية علمية.

(2) جاءت لسانيات دي سوسير بمجموعة من المبادئ والمفاهيم منها : مفهوم النظام والتقابل والاختلاف وغيرها من المبادئ المتصلة بالمنهج السويسري الذي يقوم على دراسة اللغة دراسة وصفية آنية .

هوامش وإحالات المقال

- ¹ ينظر، أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدار الإسلامية والعربية، دبي، ط2، 2013 م، ص: 32_35
- ² ينظر، طيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، دار القصة للنشر، الجزائر، دط، 2001م، ص: 160.
- ³ ينظر، المرجع نفسه، ص: 161_162.
- ⁴ ينظر، صورية جغبوب، قضايا اللسانيات بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات احمد مختار عمر، أطروحة دكتوراه في علوم اللسان، كلية الآداب واللغات، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر 2012/2011 م، ص: 94.
- ⁵ ينظر، طيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، مرجع سابق، ص: 89.
- ⁶ صلاح فضل، النظرية اللسانية في النقد الأدبي، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، دط، 1992م، ص: 21.
- ⁷ ينظر، حسام الهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مرجع سابق، ص: 28.
- ⁸ ينظر، طيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، مرجع سابق، ص: 89_90.
- ⁹ ينظر، طيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، مرجع سابق، ص: 90_91.
- ¹⁰ ينظر، حسام الهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مرجع سابق، ص: 27.

قائمة المصادر والمراجع :

1. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدار الإسلامية والعربية، دبي، ط2، 2013 م.
2. طيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، دار القصة للنشر، الجزائر، دط، 2001م.
3. صورية جغبوب، قضايا اللسانيات بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات احمد مختار عمر أطروحة دكتوراه في علوم اللسان، كلية الآداب واللغات، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر 2012/2011م.
4. صلاح فضل، النظرية اللسانية في النقد الأدبي، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، دط، 1992م.
5. حسام الهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، جامعة القاهرة، القاهرة، 1994م.